

الباب الاول

(في النفس)

النفس جوهر غير محسوس بحاسة ما (١)
عرفها الاخلاقيون بانها الجوهر البخاري اللطيف
الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الارادية

(١) تنقسم النفس الى انسانية وحيوانية ونباتية وروحانية
وناطقة وقدسية ولكل تعريف
فالنفس التي نبحث في موضوعها (وهي الناطقة) هي الجوهر المجرد
عن المادة في ذاتها مقارنة لها في أفعالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها
لاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت مطمئنة الخ
والجوهر ماهية اذا وجدت في الاعيان كانت لاني موضوع وهو
منحصر في خمسة

هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل
والجوهر ينقسم الى بسيط روحاني كالعقول والنفوس المجردة
والى بسيط جسماني كالعناصر والى مركب في العقل دون الخارج
كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل والى مركب منهما
كاولدات الثلاث

وعلماء الشرع يقولون انها لطيفة ربانية روحانية لها علاقة مع
القلب الجسماني وهي المدرك والمدبر والمطالب من الانسان
والمعاقب والمعاقب

وعند الصوفيين هي الاصل الجامع لكل صفة مرذولة
في الانسان ولذا تجب مجاهدتها مستدئين بأعدى عدوك نفسك
التي بين جنبيك

توصف النفس باختلاف أحوالها
فان عن الرذائل نخلت وبنور القلب تنورت وبالفضائل
نحت فطمئنة (١)

وان عملا صالحا وآخر سياً خلطت وكلما غفلت بقدر
غفلتها تبهت فلوامة (٢)

(١) النفس المطمئنة هي التي خرجت من صفاتها الذميمة الى محمود
الاخلاق وجميل الصفات واليهما أشير بقوله تعالى يا أيها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية

(٢) اللوامة هي التي ان صدرت منها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية
تأخذت تلوم نفسها وتوب عنها

وان لشهواتها اتبعت ولداعى هواها أجات والى
الطبيعه البدنيه مالت وبالذات الحسيه أمرت وللقب الى
الجهه السفليه جذبت وللأخلاق الذميمة جمعت فامارة
بالسوء (١)

﴿ أدبها ﴾

أدب النفس تهذيبها (٢) بعد ان تصل الى تقوى ترشدها
وتطهيرها من فجور بفسدها واعدادها لمرقة مايلزم لها مما
وجدت لاجله من ممدوح نافع وشريف يتبع وماعلمها من
حقوق مطلوبه وواجبات مفروضة ووقوفها على أمهات
الأخلاق من حكمة (٣)

(١) النفس الامارة هي مأوى الشرور ومنبع ردىء الأخلاق
وذميتها ان النفس لامارة بالسوء إلا ما رحم ربى

(٢) تهذيبها منقيتها وتطهيرها

(٣) الحكمة هي: لاقوة العقلية المادية المتوسطة بين الجبرية

التي هي افراط هذه القوة والبلادة التي هي تفریطها

وهرفها بمضمهم بأنها علم يبحث فيه عن حقائق الاشياء على ما هي

عليه فى الوجود بقدر الطاقة البشرية فهى علم نظري غير آلى

وعفة^(١) وحياء^(٢) ودعة^(٣) وصبر وسخاء وقناعة ومسألة
 ووقار وشجاعة وثبات وحلم وسماحة^(٤) ومسامحة
 وعدالة وصدق وتودد ومقابلة اساءة باحسان ومروءة
 والبعد عن طرفي ماذكر وما يابنه

تلك خير اخلاق اهل الدنيا فاذا وصفت بها فقد انعمت
 مكارم الاخلاق وانك لعلى خلق عظيم

﴿ الخلق ﴾

الخلق ملكة^(٥) تصدر عنها الاعمال الاختيارية بلا

(١) العفة هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو
 افراط هذه القوة والخمود الذي هو تفريطها وباشرة الامور على وفق
 الشرع والمروءة

(٢) الحياء انقباض النفس من شئ وتركه حذر اللوم فيه وهو نوعان

نفساني وهو ما بالنفوس كلها كالحياء مما يقبح عادة وعرفا

وايماني وهو ما يمنع المرء من فعل معصية خوفاً من الله تعالى

(٣) الدعة عبارة عن السكون عند هيجان الشهوة

(٤) السماحة بذل ما لا يجب تفضلا

(٥) الملكة صفة راسخة في النفس

فكر ولا روية

اي انه صفة في النفس واسخنة تصدر عنها جميع الافعال
بسهولة من غير احتياج لتفكر

فان كانت الافعال الصادرة عنها جالبة للسخط العام
مستكبرة منفرة تخلق سيء

واذا كانت جميلة مشكورة مألوفة عادة وعقلا وعرفا
فخاق حسن وهو ما ينبغي ان تتروض على محاسنه لان احب
الناس الى الناس من حسن خلقه واكل الناس ايمان
احسنهم خلقا

﴿ حسن الخلق ﴾

حسن الخلق هو الاعتدال والتوسط في قوى النفس
واوصافها دون ميل الى منحرف اطرافها

وحقيقة حسن الخلق ان تصل من قطعك وتمطى من

وتحقيقه . . . انه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الاعمال
ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية وتسمى حالة مادامت سريعة الزوال
فاذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت
بطيئة الزوال فتصير ملكة وبالقياس الى ذلك الفعل عادة وخالقا

حرمك وتمنقو عن ظلمك معتبراً عند نظرك مفكراً
 حال صمتك عادلاً في رضاك وغضبك مقتصداً في غناك
 وفقرك سهلاً في معاشرتك خافضاً لجناحك متواضعاً
 لآخوانك حليماً في اطوارك واصلاً لرحمك غير ظالم في
 معاملتك وفيما بوعدك ميجاوزاً عن عثرات آخوانك
 معتدلاً في جميع امورك عاملاً في نشاطك وكسلك بصيراً
 بعيوب نفسك حريصاً على أصول ماسمت
 فن اخذ بأحسن البشر اذا اتى وبأحسن الحديث اذا حدث
 وبأحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر المؤونة اذا حواف
 وترك مجالسة من لا يرجع الى دينه ومن الكلام ما يمتذر منه
 فقد حسن خلقه ووسم بالتهذيب

﴿ كيف نصل الى تهذيب النفس ﴾

تحتاج النفس محتاجة الى غذاء ينميها وتربية تطهرها
 فالعلم بما يملك مدركاً^(١) للفرق بين الصدق والكذب

(١) الادراك تمثيل حقيقة الشيء وحده من غير حكم عليه بنفي
 أو اثبات ويسمى تصوراً ومع الحكم بأحدهما يسمى تصديقا

والحق والباطل والجميل والقيبح قولاً واعتقاداً وفعلًا
أكبر غذاء

وتقويم النفس اذا مالت الى إحدى الرذائل كالفسح
والكذب والغيبة ولميمة والامن والبذاءة وخلف
الوعد والمزاح والحقد والحسد والتجسس والعجب
والبخل والكبر والطمع والرياء والظلم وشرب الخمر
وما شاكل ذلك ومعالجتها بما يقابل تلك الرذيلة من الفضائل
اعظم مرب ومؤدب ومهذب لها
وبارشادها الى ذلك تكون اوتيت فضلاً وحكمة ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً